القضاء بصنعاء للإمام شرف الدين، وله شرح على الأثمار، وقيل: إن له شرحاً على الأزهار. (ومات) سنة ٩٥٩ تسع وخمسين وتسعمائة، وقبر ببلد عاشر من بلاد خَوْلَان، وكان سبب موته أنه سقطَ من صَرْحِ داره بعاشر.

٣٢٠
(عَليُّ بن قَاسِم حَنَش)[١]

ولد في شهر محرم سنة ١١٤٣ ثلاثٍ وأربعين ومائة وألف، ونشأ بوطنه ذيبين، ثم ارتحل إلى كوكبان، وقرأ على علمائها، ثم وصل إلى صنعاء، وأخذ عن أهلها، وتردّد في الديار اليمنية حتى عرف أكثرها أو كلّها، واختبر بِأَهلها خاصتهم وعامتهم، وحجَّ، وعاد، ووصل إلى صنعاء، فاتّصل بالإمام المهدي العبَّاس بن الحُسَيْن فقرّبه وأدناه وجالسه، وشرع في ترشيحه للوزارة لما رأى من تأهله لذلك، مع فصاحته ورجاحة عقله واختباره بالناس، ومعرفته بطبقاتهم، وحفظه لأخبارهم، وإمتاعِه في جميع ذلك، وحسن محاضرته، وذلاقة لسانه، وفرط ذكائه، فحسده جماعة من الوزراء فأغروا به الإمام حتى أبعده عنه، وحُبِسَ دهراً طويلاً، ثم أفرج عنه، وسكن صنعاء. وهو من نوادر الدهر في جميع أوصافه لا تخفى عليه من أحوال أبناء دهره خافية، ولا يسمع متكلم يتكلم في علم أو أدبٍ أو تاريخ من تقدم أو تأخر إلّا ويجري معه ويحكي مثل حكايته. وله في العلَم حظٌّ وافرٌ، وفيَ الأدب سهم قامر. وفيه كرمٌ مفرطٌ، يجود بموجوده مع قلّة ذات يده. وقد يتصدق في بعض أوقاته بثيابه ولا يمسك شيئاً. وقد كان يصل إليه عند اتّصاله بالإمام المهدي شيء واسع فينفقه ولا يدَّخر منه شيئاً. وهو من رجال الدهر قد حنّكته التجارب، وحلب الدهر أشطره، ومارس ما لم يمارسه غيره من محبوب ومكروه، وصديق وعدو، وشدة ورخاء. وهو أسرع الناس جواباً في كلّ ما يرد عليه، لا يعجم ولا يتلعثم ولا يعتريه خَوَرٌ. وكثيراً ما يتفرّس في الحوادث قبيل وقوعها فيتفق وقوعها في الغالب كما يحدس. وله اتصال بأكابر الناس وأصاغرهم قد استوت لديه طبقاتهم كما استوت لديه الشدة والرخاء والإقبال والإدبار والمحبوب والمكروه، قد رأى نفسه أميراً كما رآها فقيراً، ورآها تارةً في اليفاع، وتارة في أخفض البقاع. وهو الآن في الحياة قد جاوز السبعين، ولم يفتر نشاطه، ولا خفَّ ضبطه، ولا تكَدَّرت أخلاقه. وبالجملة فهو قليل النظير في مجموعه. ومن محاسن كلامه الذي سمعته منه: (الناس على طبقات ثلاث، فالطبقة العالية العلماء الأكابر، وهم يعرفون الحق والباطل، وإن اختلفوا لم ينشأ عن اختلافهم

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٧/ ١٦٨؛ الأعلام: ٤/ ٣٢٠؛ نيل الوطر: ٢/ ١٥٠.

الفتن لعلمهم بما عند بعضهم بعضاً. والطبقة السافلة عامة على الفطرة لا ينفرون عن الحق، وهم أتباع من يقتدون به إن كان محقّاً كانوا مثله، وإن كان مُبطلاً كانوا كذلك. والطبقة المتوسطة هي منشأ الشرّ وأصل الفتن الناشئة في الدين، وهم الذين لم يُمعنوا في العلم حتى يرتقوا إلى رتبة الطبقة الأولى، ولا تركوه حتى يكونوا من أهل الطبقة السافلة، فإنهم إذا رأوا أحداً من أهل الطبقة العليا يقول ما لا يعرفونه مما يخالف عقائدهم التي أوقعهم فيها القصور فوَّقوا إليه سهام التقريع، ونسبوه إلى كل قولٍ شنيع، وغيَّروا فِطَر أهل الطبقة السفلى عن قبول الحق بتمويهات باطلة، فعند ذلك تقوم الفتن الدينية على ساق) هذا معنى كلامه الذي سمعناه منه، وقد صدق، فإنّ من تأمل ذلك وجده كذلك. ثم (مات) رحمه اللَّه تعالى في شهر محرم سنة ١٢١٩ تسع عشرة ومائتين وألف، وقد كان اشتغل بتاريخ دولة الإمام المهدي العبَّاس بن المنصور، فأملى حوادثها من حفظه بما يتعجب منه، ثم شرع في تاريخ ولده مولانا إمام العصر حفظه اللَّه، فمات بعد الشروع في ذلك.

(٣٢١)
(عَليُّ بن قَاسِم السَّنحانيّ)

بالمهملة والنون بعدها مهملة نسبة إلى بلاد سنحان اسم لقبيلة قريبة من مدينة صنعاء. كان صاحب الترجمة هو القائم بمذهب الزيدية أيام ولاية الأتراك على صنعاء، وكانوا يجتمعون إليه إلى مسجد داود، أحد مساجد صنعاء، ويأخذون عنه فقه الزيدية. ويقصده أهل الأموال منهم بالنذور الواسعة، فيصرف ذلك في تلامذته. وبالغ أمراء الأروام في اتصاله بهم فلم يفعل. واتفق في أيامه قضية هي أن بعض أولاد الأشراف من أهل صنعاء دخل يتوضأ في ذلك المسجد فلم يشعر إلَّا بِتُركيٍّ قد دخل عليه وأراد به الفاحشة فطعنه بسكين فمات، وخرج من مطاهير الماء إلى المسجد وصاحب الترجمة يُقرئ الطلبة فَسارَّه بما وقع، ثم طلب الساني الذي يسني من البئر إلى المطاهير وأمره أن يكثر المسنى إلى المطاهير، وأمر بتغليق أبواب المطاهير، فانتصب الماء حتى ملأ ساحات المطاهير ثم أمر بتقطيع التركي قطعاً صغاراً وأُخرج إلى محل بعيد. ومما يحكى عنه أنه بلغه أن رجلاً من أهل صنعاء له ولدان أمردان جميلان، وأن لهما دكانين يقعدان فيهما، ويصل إليهما أهل الفساد من الأتراك، فتقع المعاصي والمغاني ونحوها هنالك، فقال صاحب الترجمة لرجل من أهل الصلاح هل يمكنك أن تَدَّعي أن الدكانين لك وأحكم لك بذلك؟ فقال: ليس لي فيهما ملك، فقال: قد علمت ذلك ولكن هذا مما يسوغه الشرع، ففعل الرجل ذلك، وحكم له صاحب الترجمة. وكان له في إنكار المنكرات قضايا مستحسنة. وله تلامذة نبلاء،